

هبة التوبة الإلهية

من قبل الشيخ تود كريستوفرسون

من رابطة الرسل الاثني عشر

يحتوي كتاب مورمون عل قصة رجل يُدعى ناحور. من السهل أن نفهم السبب الذي لأجله لخص مورمون الكثير من سجلات النافيين، لكنه كان من الضروري ذكر شيء ما عن هذا الرجل و التأثير الأبدى الذي رافق تعليمه المدمر. لقد سعى مورمون لأن يُحذرننا، عالماً بأن سياسة هذا الرجل و فلسفته سوف تنتشر مرة أخرى في زمننا هذا.

لقد ظهر ناحور على الساحة تسعون عاماً قبل ميلاد المسيح. لقد عَلَّمَ بأن "كافة البشر يجب أن يحصلون على الخلاص في اليوم الأخير...؛ لأن الرب خلق كافة البشر، و أيضاً افتداهم جميعاً؛ و في النهاية، سيحظى كافة البشر على الحياة الأبدية."

بعد ما يُقارب الخمسة عشر عاماً ظهر قوريجور بين النافيين مبشراً و مؤكداً على أن مبدأ ناحور صحيحاً. مدونٌ في كتاب مورمون بأنه "كان ضد المسيح، لأنه أخذ يُبشر الناس بالتعاليم التي تُخالف النبوءات الخاصة بمجيء المسيح." بَشَّر قوريجور "بأن التكفير عن خطايا الناس مُحالٌ، و إنما يُصيب كل إنسان من الحظ في هذه الحياة حسب تدبير المخلوق؛ و إذا فكل إنسان يُصيب من النجاح بقدر دهائه، و كل إنسان ينتصر بقدر قوته؛ و ليس فيما يأتيه الإنسان جُرمٌ." أتباع هذه التعاليم الخاطئة وُصفوا على أنهم "مشوا على مذهب ناحور زاهدين في التوبة عن خطاياهم."

تماماً كما في أيام ناحور و قريجور، فإننا نحيا في زمن يسبق مجيء يسوع المسيح--- بالنسبة لنا يُعد وقتنا للتحصير لمجيئه الثاني. و تماماً مثل الأزمنة الماضية، فإن الرسالة التي تدعو إلى التوبة غير مُرحب بها. البعض يقولون بأنه إذا كان هناك إله، فإنه لن يفرض علينا مطالبه. كانت تلك هي فلسفة اللامانيين في أيام عمون--- "على الرغم من إيمانهم بروح أسمى فقد اعتقدوا باستقامة أعمالهم كلها." الكثيرون اليوم يعتقدون بأن الإله المحب هو من يغفر الخطايا باعتراف بسيط، أو إذا كان هناك عقابٌ أصلاً فإن الله سيُعاقبنا بجلدنا جلدات بسيطة، و بعدها سنحصل على الخلاص في ملكوت الله." الآخرون، مثل قوريجور، يُنكرون وجود المسيح و يُنكرون وجود ما يُسمى بالخطيئة. تعليمه يقوم على أساس أن القيم، المعايير، و حتى الحقيقة كلها أمورٌ نسبية. و لذلك، فإن ما يعتقد الفرد بأنه صحيح له لا يجب أن يفرضه على الآخرين أو يحكم على الآخرين و يعتبر أعمالهم أئمة.

مثل تلك الفلسفات قد تبدو مُغرية لأنها تفتح لنا المجال لأن نغرق في لذاتنا و رغباتنا من دون التفكير في العواقب. باتباع مذهبي كل من ناحور و قوريجور المضللين، يمكننا أن نبرر أي عمل أئم نقوم به. عندما يُبشر الأنبياء بالتوبة يشعر رافضي التوبة بالغضب. " لكن من دون التوبة ينعدم التقدم و التطور من الحياة. الانغماس في المذات و الخطيئة يُعيق التقدم في الحياة. التظاهر بعدم وجود الخطيئة و الإثم لا يُخفف من عبئها و ألمها. المعاناة بسبب الخطيئة لا يُغير الأمور إلى الأفضل. العقاب وحده لن يجعل الأمور مختلفة. التوبة وحدها تقودنا إلى نمط حياة أفضل، و بالطبع، عن طريق التوبة نحظى على كفاة يسوع المسيح و نحظى على الخلاص. يجب أن نتطلع إلى التوبة على أنها هبةٌ إلهية، لأنها حقاً كذلك. يجب أن تلو و جوهمك الابتسامة عندما تتحدثون عن التوبة.

التوبة يجب أن تكون مصدر البهجة و الاحتفال و ليس شيئاً من شأنه أن يقضي على البهجة و يُسبب الألم.

التوبة ممكنة بسبب كفارة يسوع المسيح. إنها تضحيتها المُطلقة التي تُتيح خلاصاً لكل من يؤمنون بالتوبة. و يمكن للرحمة بأن تحقق مطالب العدالة. " التوبة ضرورية، و نعمة المسيح هي القوة. شهادتنا هي كالتالي:

"نحن نعلم بأن مغفرة الخطايا عن طريق نعمة ربنا و مخلصنا يسوع المسيح هي عادلة و حقيقية؛

"و نعلم أيضاً، بأن التطهر من آثار الخطيئة عن طريق نعمة ربنا و مخلصنا يسوع المسيح هي عادلة و حقيقية، لكل من يُحبون و يخدمون الله بكل قوتهم، و أذهانهم، و إمكانياتهم."

التوبة هي موضوع يطول شرحه، لكن اليوم أود أن أذكر خمسة أمور أساسية يقوم عليها تعليم الإنجيل هذا الذي أمل بأن يُساعدكم.

أولاً، الدعوة إلى التوبة هي تعبير عن المحبة. عندما بدأ المخلص في "التبشير و قال، توبوا: لأن ملكوت السماء قد اقترب،" فقد كانت رسالته ملؤها المحبة، داعياً وواعداً كل من ينضمون إليه في ملكوته بالسعادة اللامتناهية معه. إذا فشلنا في أن نتوب، فإننا نفشل في تأدية مهامنا تجاه أنفسنا و تجاه الآخرين. الآباء الذين يسمحون لأبنائهم بارتكاب الخطيئة، صديق منغمس في الخطيئة، قائد كنيسة خائف هم في الحقيقة مهتمين بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بمصلحة و سعادة الآخرين الذين بإمكانهم أن يقدموا المساعدة لهم. نعم، الدعوة إلى التوبة قد ينظر إليها الآخرون على أنها مُهينة أو على أنها أمر غير مُحتمل، و قد يمتعضها الآخرون، لكنها في الحقيقة فعل يُعبر عن المحبة و العناية.

ثانياً، التوبة تعني المحاولة و السعي للتغيير. قد نسخر من معاناة المخلص لنا إذا توقعنا بأنه سيحولنا إلى ملائكة من دون أن نبذل أية مجهودات من جانبنا. بدلاً من ذلك، نسعى لأن نحظى على نعمته لكي نُكمل و تعزز رغبتنا و جهودنا للتغيير. و لأجل أن نحظى على الرحمة، يجب أن نُصلي لأجل الحصول على الوقت و الفرصة لأن نعمل و نُثابر للتغلب على الخطيئة. بالتأكيد يبتهج الرب من مَنْ يُقبلون إلى دينونته باستحقاق، و الذين يجتهدون كل يوم لأجل أن يُحولوا نقاط ضعفهم إلى قوة. هناك أمرٌ مُقدس يُكَلِّل تلك المحاولة، و عندها تتسلل قوة المغفرة الإلهية و الشفاء إلى مثل تلك النفس، لأنه بالفعل، "الفضيلة تُحبُّ الفضيلة؛ و النور يتمسك بالنور؛ و الرحمة تتمسك بالرحمة."

بالتوبة يُمكننا أن نطور من قدرتنا على أن نحيا بحسب القانون السماوي، لأننا نُدرك عندها "بأن من لا يعيشون بحسب قانون المملكة السماوية لا يمكنهم أن يسكنوا في المجد السماوي."

ثالثاً: التوبة لا تعني فقط تجاهل الخطيئة بل الالتزام بالطاعة. قاموس الكتاب المقدس يُدون، "التوبة تعني إخضاع القلب و الإرادة إلى الله، و تجاهل الخطيئة التي هي جزءٌ من طبيعة الإنسان." واحدٌ من الأمثلة على هذا التعليم مدونة في كتاب مورمون و في كلمات ألما إلى واحدٍ من أبنائه:

"لذلك، أوصيك، يا بُني، بأن تخاف الله، و بأن تمتنع عن ارتكاب المعاصي؛

"و بأن ترجعوا إلى الرب بكل عقولكم، و قدرتكم و قوتكم؛ لئلا يُضلوا قلوب ناس كثيرين فيهلكوهم؛ بل أن تعود إليهم معترفا بأخطائك و بالإثم الذي اقترفته.

في التعبير المؤثر الذي صرّح به نويل رينولدز، " اختيارنا لأن نتوب هو اختيارٌ لأن نُحطم كافة الجسور أمامنا من كل اتجاه دافعة إيانا لأن نعزم على أن نتبع طريقاً واحداً إلى الأبد، الطريق الوحيد الذي يقود إلى الحياة الأبدية." لأجل أن تكون التوبة كاملة، يجب أن نلتزم بمبدأ الطاعة من الآن فصاعداً. نحن دائماً نتحدث عن هذا العهد تماماً كما نتحدث عن عهد المعمودية الذي لا يتحقق إلا بالتمتع في الماء. معمودية المخلص بحد ذاتها، هي القدوة التي يجب أن نتبعها و نعمل بحسبها، و هذه المعمودية أكدت على أهمية طاعة الأب. " أفلمستم تعلمون أنه كان قدوساً؟ لكن على الرغم من قداسته أظهر لبني البشر أنه حسب الجسد قد اتضع أمام الأب و عاهد الأب على الإذعان له بحفظ وصاياه. " من دون هذا العهد، تبقى التوبة غير كاملة و لن تُغفرَ خطايا البشر.

رابعاً، التوبة تتطلب الجدية و الاستعداد للصمود و التغلب على الألم. المحاولات تخلق قائمة بالخطوات الواجب اتباعها لأجل تسلم التوبة التي قد تُفيد بعض الناس، و التي قد تقد تخلو من المشاعر الصادقة أو التي لا تدفع إلى التغيير. التوبة الحقيقية تكون صادقة و خالصة. يطلب الرب منا أمران: " هكذا يُمكنكم أن تعرفوا إذا تاب الإنسان بحق عن خطاياهم--- هو سيعترف بخطاياهم و من ثم يهجرها (يتخلّى عنها)."

الاعتراف و التخلي هما مفهومان قويان. هذان المفهومان أكثر تعقيداً من مجرد التفوه بهذه العبارة، " أنا أعترف؛ أنا أسف." إنها اعتراف صادق و خالص بأننا ارتكبنا الأخطاء في حق الله و الإنسان. مشاعر الألم، الندم، والمرارة قد ترافق اعتراف الشخص، خاصة إذا كانت أفعاله و أعماله تسببت في إلحاق الألم و الضرر بشخصٍ آخر، و دفعته لأن يرتكب الخطيئة.

أي ألم نحتلمه لأجل أن نتوب سيكون دائماً أقل و طأةً من المعاناة التي سنمر بها لكي نُحقق مطالب العدالة لأجل تعدينا و خطيئتنا التي لم نتب عنها. لم يزودنا المخلص بتفاصيل كثيرة عن المعاناة و الألم التي مر بها و تحملها لأجل أن يُحقق مطالب العدالة و لأجل أن يُكفر عن خطايانا، لكنه أفضى بهذا التصريح:

"لأنني أنا، الله، عانيت و قاسيت هذه الأمور لأجل الجميع، لكي لا يُقاسوا إذا تابوا؛

"لكن إذا لم يتوبوا فيجب أن يُقاسوا كما قاسيت أنا؛

"تلك المعاناة التي جعلتني أنا الله، أعظم الجميع أرتجف من الألم، و جعلت كل ذرة من جسدي تنزف، و أن أعاني روحياً و جسدياً--- و كل ذلك لكي لا أشرب من الكأس المر و أهلك."

خامساً، مهما كان الثمن الذي سندفعه لأجل التوبة، فإننا سنحظى على بهجة المغفرة. في أحد الخطب التي قدمت في أحد المؤتمرات العامة و التي عنوانها "فجر المغفرة اللامع"، زودنا الرئيس بويد ك. باكر بالتشبيه التالي:

في عام 1847 لشهر إبريل، قاد الرئيس بريجهام يونغ أول جماعة من الرواد و أخرجهم من وينتر كورتز . و في نفس الوقت، و على بُعد 2500 كيلومتراً في الغرب، البقية من الناجين ممن ينتمون إلى جماعة دونر، تاهوا في منحدرات جبال سييرا في نفادا و المؤدية لي وادي ساكرمنتو.

"لقد قضوا الشتاء الضاري محجوزين بين الثلوج المكدسة تحت القمة. لقد كان مُستحيلاً أن ينجو أحدٌ منهم في ظل مثل تلك الظروف الضارية و القاسية التي كانت مطوقة بالجوع و المعاناة التي تفوق التصور.

من بين الناجين كان هناك صبيُّ اسمه جون برين و الذي كان يبلغ من العمر الخامسة عشر سنة. في ليلة الرابع و العشرون من شهر إبريل، ذهب إلى مزرعة جونسون. بعد مُضي سنوات عديدة كتب جون:

لقد وصلنا إلى مزرعة جون مع مغيب الشمس، و لذلك تمكنت من أن أراها للمرة الأولى في الصباح الباكر. كان الجو جيداً، و كانت الأرض مُغطاةً بالعشب الأخضر، و كانت الطيور تُغني من أعالي الشجر، و كانت الرحلة قد انتهت. لقد كان من الصعب عليّ التصديق بأنني على قيد الحياة.

المنظر الذي رأيته في ذلك الصباح بقيّ محفوراً في ذاكرتي. معظم الأحداث التي مررت بها تلاشت من ذاكرتي، لكنني أقدر أن أتذكر دائماً المخيم الذي كان بالقرب من مزرعة جونسون.

"في البداية تعجبت من تصريحه بأن معظم الأحداث تلاشت من ذاكرته. كيف يمكن لشهور طويلة من المعاناة القاسية و الألم أن يتم تناسيها و مسحها من ذاكرته؟ كيف يمكن لمثل ذلك الشتاء القارس أن يُستبدل بفجر ساطع؟

و بعد أن فكرت في ذلك مرات عديدة، قررت بأن الأمر لم يكن مذهلاً البتة. لقد رأيت شيئاً مثل ذلك يحصل للكثيرين من الناس الذين عرفتهم. لقد رأيت شخصاً قضى شتاءً طويلاً من الأسى و الشعور بالذنب و الجوع الروحي و الذي فجأة بزغ عليه فجر المغفرة.

"عندما أقبل الصباح، علموا هذا:

"كُل من يتوب عن خطاياه، يُغفر له، و، أنا، الرب لن أذكرها مرة أخرى."

أنا اعترف و أشهد بأن موت و قيامة ربنا "تسهل علينا أمر التوبة، و كل من يتوب لن يُقطع أو يُطرح في النار." هبة التوبة الإلهية هي مفتاح السعادة هنا و في الحياة الأخرى. مُستخدماً كلمات المُخلص و بتواضع و محبة عميقتين، أدعوكم جميعاً لأن تتوبوا لأن ملكوت السماء قد اقترب. أنا أعلم بأنه بقبول هذه الدعوة، ستعثرون على البهجة الآن و إلى الأبد. باسم يسوع المسيح، آمين.